

ماهية الدلالة الصوتية

1- الصوت لغة و اصطلاحا : الصوت لغة " مصدر صات الشيء يصوت صوتا فهو صائب و صوت تصوينا فهو مصوت، وهو عام و لا يختص، يقال صوت الإنسان و صوت الحمار، وفي الكتاب الكريم:(إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) (1)." (2).

أ. محمد الأمين

خويلde

جامعة ورقلة

الجزائر

أما من الناحية الاصطلاحية ، فيعرفه الشريف

الحرجاني بأنه " كيفية قائمة بالهواء يحملها إلى الصماخ " (3) ، و لذلك " فهو مدرك بحاسة السمع " (4) عن طريق تلك الذبذبات الناتجة عن التموج المتسبب عن القرع أو القلع (5) ، و عليه يمكن تعريف الصوت بالمعنى العام – الذي يشمل السمعي و غير اللغوبي – بأنه " الأثر السمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطردة ، حتى ولو لم يكن مصدره جهازاً صوتيّاً حياً ، فما نسمعه من الآلات الموسيقية النفعية أو الوترية أصوات ، و كذلك الحس الإنساني صوت " (6) .

و موضوع علم الأصوات : هو الصوت اللغوي الصادر عن جهاز النطق الإنساني (7) ، و الصوت اللغوي ذو جانبيين ، أحدهما عضوي و الآخر صوتي ، و يتصل الأول بعملية النطق ، و الثاني بصفته ، و "عملية النطق هذه تحدث في أية نقطة ما بين الشفتين ، و الأوتار الصوتية في الجهاز النطقي الإنساني " (8) ، و يكون خروج الصوت مستطيلاً مع الهواء حتى يعرض له في الحلق و الفم والشفتين ما يشهده عن ذلك الامتداد ، و يختلف الصوت باختلاف المقااطع التي تعرّضه (9) ، و يسمى الموضع الذي يحبس فيه الهواء أو يضيق فيه مجراه مخرجا

وهو مكان النطق (10) ، فإذا تناولت الدراسة اللغوية الأصوات من حيث كونها أحداثاً منطقية لها تأثير سمعي ، وركزت على المادة الصوتية بوصفها ضوضاء كلن هذا مجال الصوتيات وإذا كان التركيز على وظائف الصوت في اللغة كان مجال علم وظائف الأصوات (11) .

و الحرف غير الصوت ، إذ أن الأول يمثل عائلة صوتية واحدة ، أما الثاني نوع من تنوعاته و مظهره من مظاهره التي تتجلى عند الاستعمال و " من المعروف أن حروف المخاء الصحيحة في العربية الفصحى ثمانية وعشرون ، وأن حروف العلة ثلاثة ... فمجموع الحروف في العربية الفصحى واحد و ثلاثون حرفا بناء على هذا الفهم ، أما أصوات العربية الفصحى فأكثر من ذلك" (12).

أما إذا تأملنا عملية الكلام فإننا نجد أنها تتنظم في خمس خطوات أو أحداث متتالية مترابطة يقود بعضها إلى بعض حتى تتم الدائرة بين المتكلم و السامع في أبسط موقف من المواقف اللغوية ، و هذه المراحل أو الأحداث بترتيب وقوعها ، هي (13) :

- 1)- الأحداث النفسية والعمليات العقلية التي تجري في ذهن المتكلم قبل الكلام وأثناءه .
- 2)- عملية إصدار الكلام ، و التي تمثل في أصوات ينتخبها ذلك الجهاز المسمى جهاز النطق .
- 3)- الموجات و الذبذبات الصوتية الواقعة بين فم المتكلم و أذن السامع ، بوصفها ناتجة عن حركات أعضاء الجهاز النطقي .
- 4)- العمليات العضوية التي يخضع لها الجهاز السمعي (لدى السامع) بوصفها رد فعل مباشرة لتلك الموجات .
- 5)- العمليات النفسية والأحداث التي تجري في ذهن السامع عند سماعه للكلام .

و انطلاقاً من هذا يمكننا القول : إن اللغة من حيث كونها مجموعة من العلامات أو الرموز " هي الأصوات التي يحدّثها جهاز النطق الإنساني و التي تدركها الأذن . هذه الأصوات التي تؤلف بطرائق اصطلاحية في كلمات ذات دلالات إصلاحية " (14) .

إن المتكلم - بأية اللغة كانت - لا يستعمل الأصوات مفردة مفككة ، بل إنه يؤلف بينها في وحدات أكبر هي الكلمات التي توظف - بعد ذلك - في العبارات و الجمل (15) ، فلا يطلق مصطلح الكلمة - في أية لغة - إلا على ما يمكن ائتلافه من الحروف . و وضعه الواقع يزاوج معنى مخصوص ، و هو ما أطلق عليه العلماء الأوائل مصطلح (المستعمل) . و ما لم يدل على معنى من حروف المؤلفة يسمى لفظا و عليه فإن الكلمة أخص من اللفظ ، لأن اللفظ يكون دالاً و غير دال (16) .

إن الحديث عن الألفاظ الدالة في اللغة يقودنا إلى التفرقة بين عنصرين في الدليل اللغوي : أحدهما الدال ، و هو اللفظ المسموع الذي يمثل الصورة الصوتية ، و الثاني المدلول الذي المفهوم أو المعنى أو الصورة الذهنية ، و كثير ما تسائل الغربون -منذ القدم - عن طبيعة العلاقة بين الدال و المدلول ، أهي ذاتية موجبة أم اصطلاحية ؟ و إن كان الأمر قد حسم و إنتهى إلى القول بعدم خضوع الأصوات الإنسانية إلى أي نظام عقلي منطقي في تكوينها و صدورها و النطق بها (17) ، و لاشك أن الذين ينكرون الصلة الموجبة بين الألفاظ و المدلولات هم الأقرب إلى فهم الطبيعة اللغوية (18) ، بل إن " أساس الاختلاف بين لغة و أخرى بما يعود إلى العلاقة الاعتباطية بين الدال و المدلول " (19) .

و إذا تحدثنا عن نوع من الدلالة على المستوى الصوتي فلا ينبغي أن يتوهّم من ذلك أنه تأكيد لفكرة الصلة الذاتية الموجبة بين الألفاظ والمدلولات ، لأن

ال الحديث عن الدلالة التي تساهم فيها الأصوات - التي تتألف منها الألفاظ - لا يعني مخالفته ما استقر عليه علماء اللغة من أن دلالة الألفاظ على معانيها عرفية إصطلاحية ، وإن كانت بعض الكلمات - على قلتها - تتجلى فيها ، بعض الروابط الطبيعية بين الألفاظ والمدلولات عن طريق الأصوات ، مما قد يثير شيئاً من اللبس في هذه المسالة ، ولكي نزيل هذا اللبس ، ونخلص إلى تحديد دقيق لمفهوم الدلالة الصوتية ، كما أقره فقهاء اللغة ، لا بأس أن نبين طبيعة العلاقات المختلفة التي تربط بين أصوات الكلمات العربية و معانيها.

2/ أنواع الصلة بين أصوات الكلمات العربية و معانيها :

إذا تأملنا مفردات اللغة فإننا نجد صوراً عديدة و مظاهر مختلفة ترتبط فيها أصوات الكلمة بالمعانى التي يعبر عنها بها ، وقد لخصها فقهاء اللغة في طائفتين من الروابط ، الأولى تقوم على أساس المحاكاة ، و الثانية على أساس الاشتلاق (20). أما علاقة المحاكاة فتمثلها الألفاظ التي تعكس أصواتها اللغوية الأصوات المسموعة من الطبيعة " فكثير من الكلمات الدالة على أصوات الإنسان ، و الحيوان و الأشياء و بعض الكلمات الدالة على الأفعال التي يحدثها الإنسان أو غيره ، تحاكي أصواتها أصوات الظواهر التي تعبر عنها " (21).

فمن الكلمات الدالة على أصوات الإنسان القهقهة والتمنطق والتاؤه ، و من الكلمات الدالة على أصوات الحيوان المواء و العواء و الصهيل و الزئير ، و من الكلمات الدالة على أصوات الأشياء خرير الماء و حفيض الشحر ، و من الكلمات الدالة على أفعال الإنسان أو غيره القطع و القطف و القطم و القضم ... (22) ، و شئ بدائي " أن في كل اللغات ألفاظ مستوحاة من الطبيعة أو محاكية إياها فيما تحدثه من أصوات ، و هذه المحاكاة هي أقوى مظهر لل المناسبة بين الألفاظ و مدلولاتها " (23) .

و يرجع السبب في هذه العلاقة إلى النشأة الأولى للغة الإنسانية التي نشأت في - أرجح الأقوال - من "محاكاة الإنسان للأصوات التي تصدر من الحيوانات و الأشياء ، و للأصوات التي تحثّها الأفعال عند وقوعها ، فلا غرابة إذاً أن يبقى في كل لغة بعض كلمات تمثل الأصل الأول الذي اخدرت منه اللغات " (24) .
أما ارتباط أصوات الألفاظ بالمعاني عن طريق الإشراق فهو ناشئ عن الاتفاق و التواضع لا على أساس حكاية المسموع من أصوات الطبيعة ، و هو أقسام ثلاثة : صغير و كبير و أكبر .

فإذا لاحظنا اشتقاتات المادة الصوتية الأساسية لأية كلمة ، فإننا نجدها جميعاً توحّي بالمعنى الأساسي للأصل الذي أخذت منه " ألا ترى أنك تجئ إلى (الضرب) الذي هو المصدر فتشتق منه الماضي فقوله ضرب ، ثم تشتق منه المضارع ، فتقول يضرب ، ثم تقول في اسم الفاعل ضارب " (25) فجميعها يوحّي بمعنى الأصل و هو (الضرب) ، و ذلك لاحتواء كل منها على المادة الصوتية الأساسية بالترتيب نفسه ، و هي (ض . ر . ب) ، و هذا النوع من الاشتلاق يعرف بالاشتقاق المُخْذِل أو الأصغر أو العام ، و هو " أحد صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى و مادة أصلية ، و هيأة تركيب لها ، ليدل بالثانية على معنى الأصل ، بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حوفاً أو هيأة ... و طريق معرفة تقليل تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ " (26) .

فقد " تقوم بين الكلمات التي جاءت على صيغ مختلفة صلة رحم معينة قوامها اشتراك هذه الكلمات المختلفة الصيغة في أصول ثلاثة معينة ، فتكون فاء الكلمة وعيها ولامها فيهن واحدة ، و هذه الصلة تدرس في الصرف تحت اسم الاشتلاق . و في المعجم تحت اسم الاشتراك في المادة " (27) ، و يسّعى أن يعلم أن بين التصريف و الاشتلاق نسباً قريباً و اتصالاً شديداً ، و أنه لا

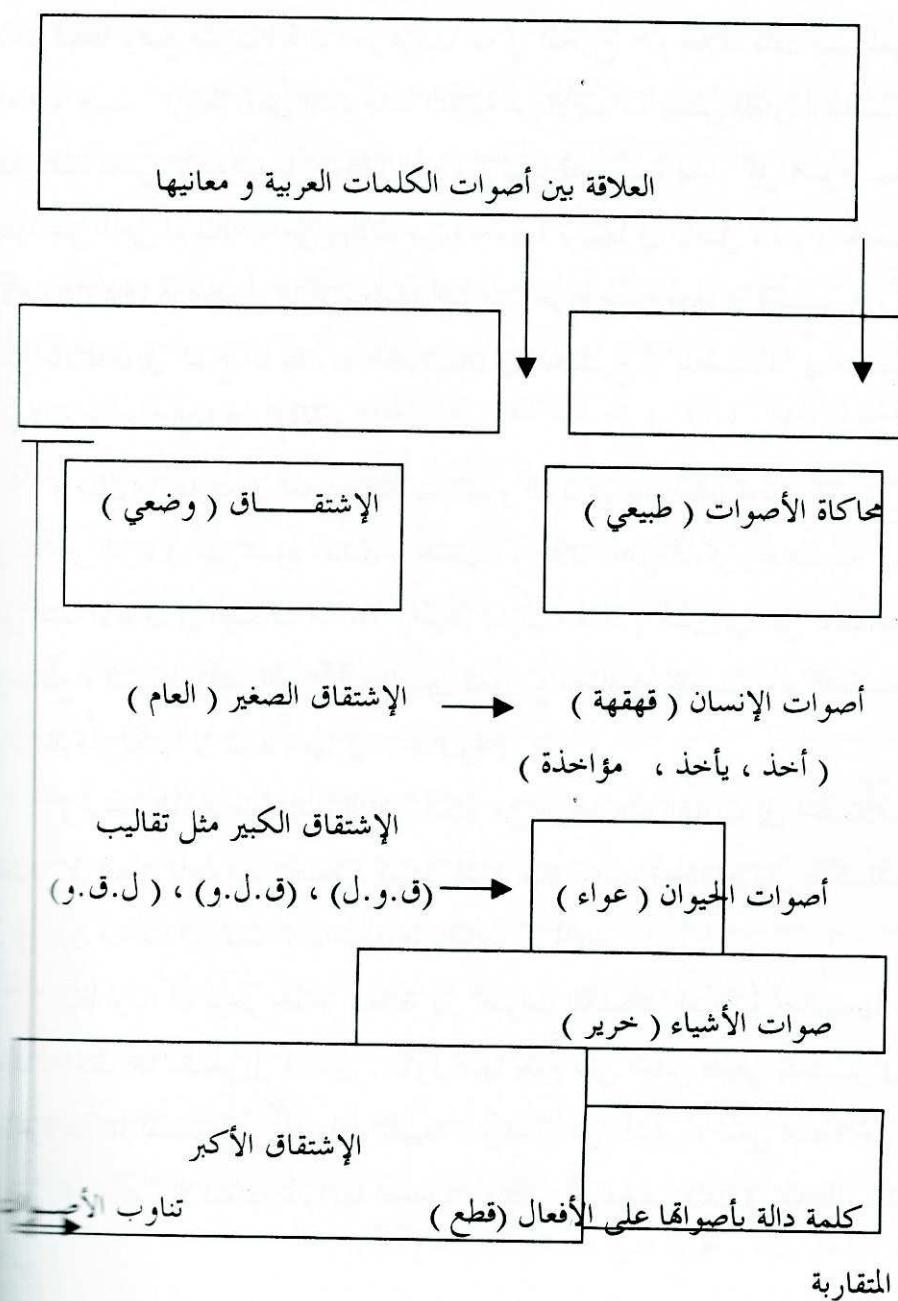
أما الاشتقاد الأكبر فإنه يعني بملحوظة التغير الصوتي في بعض الكلمات - و ذلك نتيجة وضع صوت مكان آخر قريب منه في المخرج - و علاقة ذلك بالمعنى العام ، حيث " ترتبط بعض المجموعات الثلاثية من الأصوات بعض المعاني ارتباطا غير مقيد بنفس الأصوات بل بنوعها العام و ترتيبها فحسب ، فتدل كل مجموعة سهلا على المعنى المرتبطة به مثى وردت مرتبة حسب ترتيبها في الأصل ، سواء أبقيت الأصوات ذاتها أم استبدل بها أو بعضها أصوات أخرى متفقة معها في النوع ، و تعني بالاتفاق في النوع أن يتقارب الصوتان في المخرج أو يتحدا في جميع الصفات ما عدا الإطباق " (38).

و مثل ما تقارب في المخرج تناوب الميم و النون في مثل امتنع لونه و انتفع ، اللام و النون في مثل أسود حالك و حانك ، و فلان خامل الذكر و خامنها ، و من آمنة الاتفاق في الصفات ما عدا الإطباق تناوب الصاد و السين في مثل ساطع و صاع ، السراط و الصراط (39)، فالسين تتفق مع الصاد في الهمس و الصفير بالرحابة و لكنها لا تتحد معها في الإطباق (4).

و يرجع العديد من علماء اللغة " الكثير من ظواهر هذا التناوب إلى اختلاف التشكيل في النطق بأصوات الكلمة ، فمادة كشط مثلاً كانت تنطقها قريش بالكاف حين حين أنأسدا و تميما كانتا تنطقانها بالقاف " (4).

أردننا أن نوجز مظاهر العلاقة بين أصوات الكلمات العربية و معانيها ، لاحظ أنها تنقسم إلى قسمين . الأول منها يقوم على أساس طبيعي يتمثل في صورة تحاكاة المسنون من أصوات الطبيعة ، و الثاني على أساس وضعي اصطلاحي يحرر في ظاهرة الاشتقاد بأنواعها المتعددة ، ويمكن أن نلخص ذلك في المخطط

- يحدد طبيعة العلاقة بين أصوات الكلمات و معانيها -



3- التحديد الدقيق لمصطلح الدلالة الصوتية :

إن فقهاء اللغة لا يطلقون مصطلح الدلالة الصوتية إلا على جانب محدد من الجوانب التي تعكس العلاقة بين أصوات الكلمة العربية و معانيها ، حيث يتجلّى أثر مساعدة الصوت في المعنى بما له من خصائص تميّزه عن غيره في السمع ، وهو ما يعرف بالقيمة التعبيرية للصوت ، و لا تتجلى هذه القيمة إلا في مظاهرتين اثنتين، هما : الاستيقاّن الكبير والاستيقاّن الأكبير و كلاهما قائم على أساس وضعى .

و الحديث عن نوع من الدلالة على المستوى الصوتي ، لا يعني مخالفته مما استقر عليه البحث العلمي من أن دلالة الألفاظ على معانيها عرقية اصطلاحية، بل إنه يشير إلى مقدار الدلالة التي يساهم بها الصوت ، من خلال الخواص التي يتميّز بها عن سواه ، داخل البناء اللغوي – الوارد فيه – الذي وضع و ضعا اصطلاحيا عرفاً مما يحدث شيئاً من التلاحم بين اللفظ وما يدل عليه .

و يرجع الفضل في هذه الدلالة إلى إثارة صوت على آخر ، أو مجموعة من الأصوات على أخرى في الكلام المطروق به ، إذا هناك نوع من الدلالة تستمد من طبيعة الأصوات ، و هو ما يطلق عليه اسم الدلالة الصوتية ، ويمكن التمثيل لها بكلمة (تنضح) ، فهي تعبّر عن تدفق السائل في قوة ، وعنف ، وهذه إذا قورنت بنظيرتها (تنضج) ، التي تدل على تسرب السائل في تؤدة ، وبطء ، تبين لنا أن صوت الحاء في الأولى له دخل في دلالتها ، فقد أكسبها تلك القوة و ذلك العنف مقارنة بحرف الحاء في الثانية (42) .

و لا يمكن أن نتصور – بأي حال من الأحوال – أن الصوت يساهم بذلك في الدلالة و هو مجرد غير مركب في بناء لفظي ، فالوحدات الصوتية " لا معنى لها بمفردها " (43) ، وإنما اكتسابها لتلك القيمة التعبيرية " ناتج عن تلك المقابلة بين خاصية الصوتية للحروف التي تتألف منها الألفاظ و دلالتها " (44) .

و عليه فإن الدلالة الصوتية متأتية بالأساس من وجود الصوت في محيطه اللفظي وإثاره على أصوات أخرى يمكننا استعمالها في الخل نفسه ، إذا فهمي ترتبط بالقدرة على استخدام بعد الصوتي للغة استخداماً خاصاً في تناغم مع قوانين اللغة" (45) .

الهوامش

- 1 سورة لقمان الآية 19.
- 2 سر الفصاحة ، ابن سنان الحساغي ، تحقيق عبد المتعال الصعدي . مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، (دط) ، 1969م ، ص: 5 ، يراجع لسان العرب ابن منظور ، حرف النساء ، مادة (صوت) ، ص: 58-57.
- 3 التعريفات ، علي بن محمد الشيريف الجرجاني، مكتبة ، لبنان ، بيروت، (دط)، 1990م، ص: 130.
- 4 سر الفصاحة ، ابن سنان ، ص: 6.
- 5 يراجع : أساسيات حذف الخروف ، ابن سينا ، تحقيق محب الدين الخطيب مطبعة المؤيد ، القاهرة (دط) ، 1332هـ ، ص: 4.
- 6 مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ، د. المكافحة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، (د) 1986م ، ص: 67.
- 7 يراجع : علم اللغة مقدمة للقاريء العربي ، د. محمود السعران ، ص: 98.
- 8 يراجع : مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ، ص: 110.
- 9 يراجع : علم اللغة العام - الأصوات ، د. كمال محمد بشير ، دار المعارف ، مصر (د ط) 1973.
- 10 مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ، ص: 116.
- 11 علم اللغة العام (الأصوات) ، د. كمال محمد بشير ، ص: 9.
- 12 علم اللغة مقدمة للقاريء العربي ، د. محمود السعران ، ص: 63.
- 13 يراجع : المرجع نفسه ، ص: 187.
- 14 يراجع : شرح المفصل ، ابن بعيسى ، عالم الكتب ، بيروت ، د ط، د ت، ج: 1 ، ص: 18-19.

و عليه فإن الدلالة الصريرة متأتية بالأساس من وجود الصوت في محيطه اللفظي وإيشاره على أصوات أخرى يمكننا استعمالها في المخل نفسه ، إذا فهـي ترتبط بالقدرة على استخدام بعد الصوتي للغة استخداماً خاصاً في تناغم مع قوانين اللغة " (45) .

المواهـش

- 1 سورة لقمان الآية 19.
- 2 سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، تحقيق عبد المعال الصعيدي . مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، (ط) ، 1969م ، ص: 5 ، يراجع لسان العرب ابن منظور ، حرف النساء ، مادة (صوت) ، ص: 57-58.
- 3 التعريفات ، علي بن محمد الشريف الحررجاني، مكتبة ، لبنان ، بيروت،(ط)،1990م،ص:130.
- 4 سر الفصاحة ، ابن سنان ، ص : 6 .
يراجع : أسباب حدوث الحروف ، ابن سينا ، تحقيق محب الدين الخطيب مطبعة المؤيد ، القاهرة (ط) ، 1332هـ ، ص: 4.
- 5 يراجع : مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسن ، المقاومة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، (دعا) 1986 م ، ص : 67 .
- 6 يراجع : علم اللغة مقدمة للقاريء العربي ، د . محمود السعران ، ص : 98 .
مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، ص: 71-72 .
- 7 يراجع سر الفصاحة ، ابن سنان ، ص: 16 .
- 8 يراجع : مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، ص : 110 .
- 9 يراجع : علم اللغة العام – الأصوات ، د. كمال محمد بشر ، دار المعارف ، مصر (ط) 1973 ص: 29 .
- 10 مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، ص : 116 .
- 11 علم اللغة العام (الأصوات) ، د. كمال محمد بشر ، ص: 9 .
- 12 علم اللغة مقدمة للقاريء العربي ، د . محمود السعران ، ص : 63 .
- 13 يراجع : المرجع نفسه ، ص: 187 .
- 14 يراجع : شرح المفصل، ابن عييش ، عالم الكتب ، بيروت، د ط، د ت، ج: 1 ، ص : 18-19 .

- 15 براجح: من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، (ط 7) ، 1994 ، ص: 140 .
- 16 براجح : المرجع نفسه، ص : 144 .
- 17 أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث ، توفيق الزيدى ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، (د ط) ، 1984 ، ص : 59 .
- 18 براجح : فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ص : 175 - 186 .
- 19 المرجع نفسه ص : 175 .
- 20 براجح : المرجع نفسه ، ص 175 - 176 .
- 21 محاضرات في فقه اللغة ، د . زبير دراقي ، ص : 32 .
- 22 فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ص : 177 - 178 .
- 23 المنصف ، ابن حني ، تحقيق إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين ، البابي الحلبي(د ط)-(د ت) ، ج: 1 ، ص : 4 .
- 24 المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد الجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجليل ، بيروت (د ط) - (د ت) ، ج : 1 ، ص : 346 .
- 25 اللغة العربية معناها و مبنها ، د.عام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب (د ط) 1986 ، ص: 166 .
- 26 براجح: المنصف ، ابن حني ، ج : 1 ، ص : 2 - 3 .
- 27 النظرية الخليلية الحديثة ، د . عبد الرحمن الحاج صالح ، مجلة اللغة و الآداب ، جامعة الجزائر ، 1996 ، العدد 10 ، ص : 94 .
- 28 فقه اللغة و خصائص العربية ، محمد المبارك ، ص: 70 .
- 29 دراسات في فقه اللغة ، د . صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، (ط 11)، 86 ، ص: 177 .
- 30 براجح : فقه اللغة و خصائص العربية ، محمد المبارك ، ص: 73 .
- 31 براجح : دراسات في فقه اللغة ، د . صبحي الصالح ، ص: 175 .
- 32 المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، ابن الأثير،المطبعة البهية،مصر (د ط) 1894،ص: 292.
- 33 براجح : المزهر ، السيوطي ، ج : 1 ، ص : 347 .
- 34 دراسات في فقه اللغة ، د . صبحي الصالح ، ص: 186 .

- 34 فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ص : 184 .
- 35 براجع : المرجع نفسه ، ص: 184-185 .
- 36 براجع : سر صناعة الإعراب ، ابن حني ، تحقيق: مصطفى السقا ، محمد الزفزااف ، إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين ، مطبعة البابي الحلبي ، (ط 1) ، 1954، ج: 1 ، ص: 68-70 .
- 37 فقه اللغة ، عبد الواحد وافي ، ص: 185 .
- 38 براجع : دلالة الألفاظ ، د.إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو مصرية (ط 6)، 1991، ص: 46 .
- 39 دراسة لغوية لمفهوم الآية (أطروحة دكتوراه) ، محمد العيد ر蒂مة ، إشراف: د.جعفر دك الباب .
جامعة الجزائر .
- 40 معهد اللغة العربية و آدابها ، 1992-1993 ، ص: 198 .
- 41 فقه اللغة و خصائص العربية ، محمد المبارك ، ص: 101 .
- 42 دراسة لغوية لمفهوم الآية ، د.محمد العيد رتيمة ، ص: 200 .